معان من سورة الاخلاص

للشيخ عبد العزيز العلي

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » .

« قل هو الله أحد » : يتبادر إلى الذهن غالباً بأن معنى (أحد) هو (واحد) لأنه جلّ وعلا هو الواحد القهار ، وإن الانسان مفطور على ذلك ، وإذا كانت السور المتلاحقة المعوذتان والفاتحة تنعته جل شأنه بالوحدانية الحقة والكمال الرباني فان في هذه السورة الكريمة البيان الكامل لكل سائل أو متسائل مع نفسه عن صنعة هذه الوحدانية العظمى، وهذا الكمال الالهي المنزه لذي الحمد رب العالمين الرحمن الرحيم .

وفي الأثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لكل شيء نسبة ونسبة الله قل هو الله أحد الله الصمد) ، والصمد ليس بأجوف ، وأنها تعدل ثلث القرآن العظيم ، وقد تقدم عن ارتباطها بسورة الفاتحة وارتباط السور بعضها ببعض ، والذي ظهر لي من هذه الكلمة العظيمة بهذه السورة الكريمة (أحد) ذات واجب الوجود ، حيث أن هذه الكلمة لم تأت في اللغة وحدها بمعنى واحد إلا إذا كانت مضافة إلى كلة اخرى تقيدها ، كأحد الجماعة أو احداها أو بالعدد كاحد عشر واحدى وعشرين ، وتستعمل كلمة (أحد) بالجمل الاستفهامية

ومشاعرهم حتى ينفضوا عن معدنهم الكريم غباره ، ويذكروا من مجدهم العظيم اسبابه وآثاره ، ويمدوا انفسهم بايمانهم الصادق وعملهم الصالح ليكونوا كما كان اجدادهم هادين فاتحين ، يفتحون القلوب ويفتحون الافكار ويفتحون الاقطار غير مستعمرين ولا مستثمرين ولا محتكرين * .

محمد عضيمة

(*) اذيعت ليلة ١٣ شوال .

عن وجود من يقل أو جوابها كقول القائل : أفي البيت أحد وليس في البيت أحد . ولا يدخل في ذلك أثاث البيت أو بهائمه وإنما يدخل فيه الذوات العاقلة . وتستعمل لغير العقلاء كلمة شيء كقول القائل : في البيت شيء ؟ وليس في البيت شيء ، ولا علاقة للكلمتين في الوضعين بالعدد قل أو كثر ، على أن الشيء من المشيئة ، ويشمل جميع المخلوقات كقوله تبارك وتعالى « يخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير » « أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم » « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » . والآيات في ذلك كثيرة . وتستعمل كلمة (أحد) في النفي كقول : ليس مني أحد ، وكذا مع النفي التحدي والفخر كقول القائل : لا يقدر عليّ أحد إلا الله . وان الاثبات في أول هذه السورة الكريمة رد على كل نفي مطلق .

ولقد جاء في سورة البلد « أيحسب أن لم يره أحد » وجواب ذلك أيضاً : هو الله أحد يقدر عليك ويراك ، وكما أن في الاثبات بأول هذه السورة الكريمة رد على كل نفي وتحد مطلقين فان في آخرها ما يؤكد بأن النفي والتحدي المطلقين لا يجوزان إلا بجلال ذاته بقوله تبارك وتعالى بالنفي والتحدي المطلقين معاً في آخر السورة الكريمة « ولم يكن له كفواً أحد » وكثيراً ما يسمع الانسان نفياً يتزه عنه الرحمن كقلل قائل مثلاً : لم يأكل مني أحـــد ، والجواب على ذلك « هو الله أحد » اثباتاً للوجود « الله الصمد » تنزيهاً له تعالى عن الأكل والشرب وغير ذلك مما لا يليق بجلال قدسه ، والصمد يشتمل على ما تقدم من المعاني وأنه المنزه عن المماثلة والمشابهة ، يبينه ما بعده « لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » .

والجواب الكامل لكل نفي إذاً هو في السورة الكريمه بكاملها على أنه مما لا شك فيه هو أن التقييد في النفي مضمر وتقديره « لم يأكل مني أحد من الأهل والأصحاب أو غير ذلك من الناس ، مع أن هذه السورة الكريمة توجب ذلك ، والفطرة السليمة تحتمه حيث ان السمع لا يقبل كجملتي : ليس في البيت أحد أو ليس مني أحد إلا على أساس الاضمار في القيد أي : من الناس عامة أو المقصودين خاصة ، مع أن السورة الكريمـة والفطرة السليمة تطالبان من المخلص مع الاظهار والاضمار في القيد استشعار الاثبات للعلي الكبير المنزه — كما ورد بسورة الاخلاص — عند كل نفي يقوله أو يسمعه اسوة بقائده وقدوته المأمور بذلك صلى الله عليه وسلم بـ « قل » في بدء السورة الكريمة ، وكما أن النفي المطلق لا يجوز في حق

غيره جلّ وعلا ، فان الاثبات لذات معينة لا يجوز بهذه الكلمة في الدين واللغة إلا لله وحده كقوله تبارك وتعالى « قل هو الله أحد » ولا يقبل الذوق مثل ذلك لغيره مطلقاً ، وكلمة (أحد) وحدها توحي إلى السامع أنها اسم من أسماء الله ذي الجلال والاكرام ، كقول بلال في قصته المشهورة : أحد ، أحد .

« الله الصمد » وإذا كان (أحد) بالاصل الثبات لموجد الوجود رب العالمين فان (الصمد) تفيد بأن هذا الوجود وجود سيادة وهيمنة ، وجود علو من غير بعد ووحدانية من غير قلة واحاطته بالوجود وملأ له وعلماً لا يغرب عنه مثقال ذرة ولا أصغر ، وفي اللغة من معاني الصمد السيد المقصود ، والدائم الرفيع ، ويقال صمد البناء علاه ، والصماد للرأس الاحاطة القريبة به ، « وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم » والصماد للقارورة هو سدادها ، والصمدة المتره (القوة) ، وإذا كانت كلمة (شيء) أعم من (أحد) بالنسبة للمخلوقات ، وإنها لا تليق بالخالق ولا لأي صفة من صفاته ، فان (الصمد) أعم منها ولا تليق إلا لجلال قدسه ، لأنها تفيد الملأ بالصمدانية للوجود كله ، وهو الأزلي اللانهائي « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » « وهو معكم اينما كنتم ، وهو « بما تعملون بصير » « الله لا إله إلا الحي القيوم » .

فالصمد : اسم من اسماء ذي الجلال والاكرام ، يشتمل على صفات الكمال كلها مع التنزيه عن ضدها ، وإذا كان العلم يثبت أن الوجود كله من أصغر ذرة إلى أكبر جرم فيه ومن أصغر مجموعة إلى أكبر مجموعة فيه ، لها حركات متماثلة وسير منتظم بديع ، وأن لكل ذرة في الكون ملكوتها كاملة ، وأن ملكوت كل شيء بيده تبارك وتعالى كما جاء في بضع آيات من آخر سورة يسن ومثلها في أول سورة الملك وفي سورة الفلق وغيرها من السور الكريمة فان العلم (وسنامه القرآن العظيم وهو العلم الثابت المنزل بعلم الله) يثبت أن لهذا الوجود المحكم ، ولهذا النظام العجيب ثلاث دعائم ، وهي : الحرارة ، التزاوج ، المغناطيس ، وأن لهذا الوجود موجده « الصمد » الذي له الخلق والأمر ، وأن هذه القواعد من أمره خاضعة لسلطانه ، وأنه منزه عن مشابهة الخلق في شيء منها ، إذ أنه الصمد الذي لا محل فيه لمبعث الحرارة كالأكل والشرب والوقود ، « لم يلد ولم يولد » ، تنزيهاً له عن التزاوج والتوالد ، « ولم يكن له كفواً أحد » ، وإذا كانت الدعامة الثالثة وهي المغناطيس ومنها

الفقيد الغالي الجليل

الشيخ كمال أبي الخير الخطيب

بقلم ابن شقيقته

الاستاذ محمد بن كمال احمد الخطيب

شخصية فذة ، نشأت نشأة القوة والايمان ، والجرأة والبيان ، وأوتيت من المواهب أكملها . حساً مرهفاً ونظراً بعيداً ، وبصيرة نفاذة ملهمة ، وذكاء متقداً وفهماً دقيقاً ، فعرف نفسه وعرف ربه ، فهانت عليه نفسه وهانت عليه الحياة ، وخرج من ذلك مخرجاً كريماً ، فاتجه بجماع مواهبه إلى الحياة وإصلاحها ، والخير وصنيعه ، حتى شغل بالناس عن نفسه بمطعمه وملبسه ونومه ، شغل بهم دهره ، وظل عزباً إلا من همومهم حتى لقي ربه .

فاذا كان الليل نام ساعة وهب قائماً إلى الجامع الاموي يتلو القرآن ، حتى مطلع الفجر مع النفر القليل الذين عرفهم الليل مصابيح دجنة ، فاذا صلى الناس فكثيراً ما يسمعون له صيحة مذكرة بما يرى فيه واجب التذكرة ، ثم انتقل إلى القراء يستمع اليهم أو انصرف إلى مجالس العلم إما وجدت فطاف عليها ، وراقب أهلها ، فمن أصاب أيده وعززه ، ومن أخطأ عجل

الحب الذي هو الصلة فيما بين الله وبين عباده الصالحين ، فان الحب منه تبارك وتعالى غير الحب من عباده الصالحين إذ ليس كمثله شيء ، « ولم يكن له كفواً أحد » وإذا كان الحب في الغالب بين الوالدين والأولاد والأزواج والأرحام وذوي المنافع المتكافئة ، وفي الله ، فان الحب مع الله حب عبودية ، خوفاً منه وطمعاً بما عنده ، وهو تبارك وتعالى ينزه في حبه عن ذلك كله ، إذ ليس في الوجود كفؤ لأن يكون له صاحبة ، أو والد أو ولد ، « وهو الغني الحميد » « الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » « إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً » ، وإذا كان مصير الخلق كله إلى الفناء فان الخالق أحد دائم الوجود لا يفنى « كل شيء هالك إلا وجهه » .

الكويت : عبد العزيز العلي